العبث بالتراث ... (رسالة فى الهيئة) أنموذجًا

أ. أحمد عبد الباسط(*)

ظنَّ كثيرٌ مِن النّاس - وبعضُ الظَّنِّ إثمٌ - أنَّ تحقيقَ النُّصوصِ مَا هو إلا اجتهادٌ فى قراءةِ النصِّ المخطوطِ ونسخه فى بضع أوراق، مع توضيح مَا يُشْكَل مِن ألفاظٍ مِن وجهة نظرهم، ثُمَّ الدفعُ به بعد ذلك إلى المطبعة. وقد ظنُّوا بزعمهم - أيضًا - أنّهم إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجرٌ.

وليس الأمرُ كذلك؛ فإنَّما هذا يكونُ فى حقِّ المجتهد، وللمجتهدِ شروطٌ ينبغى أنَّ تتحقّقَ فيه، وقد عَدِمَها هؤلاء العابثون بتراثنا . فالذى يُمكن أنْ يُقَالَ فى شأنِ المُحقِّق: إنه إنْ أصابَ فقد أدّى مَا عليه تجاه النصِّ التراثىِّ، وإنْ أخطأ فقد أذنبَ - ليس فى حقِّ نفسِه فحسب، ولا فى حقِّ النصِّ الذى يقدّمه للقارئ - بل فى حقِّ تراثِه كلّه الذى ينتمى إليه، والذى ضيَّعَه بجهلِه وهضمَ حقَّه عليه.

ومِن تلكمُ الأعمال - التى لا يشكُّ المرءُ حين الاطلاع عليها وتصفّحها تصفحًا سريعًا، فضلا عن التدقيق فيها، أنّها عبثٌ وتدليسٌ وافتراءٌ على تراثِ أُمّتنا - رسالةٌ صدرت عام ٢٠٠٦م عن مركز تحقيق التراث، تحت عنوان: (رسالةٌ فى الهيئة. تأليف: أبى على الحسين بن عبد الله بن سينا ٣٧٠ - ٤٢٨هـ).

فممّا لا شكَّ فيه أنّ عملا يصدرُ عن مركز تحقيق التراث لهو جديرٌ باقتنائه وقراءته قراءة تمتُّع واستفادة، لا سيما إذا كان منسوبًا إلى واحدٍ مِن علمائنا الموسوعيين الذين أنتجتهم الحضارة الإسلامية، وهو الشيخ الرئيس شرف الملك أبوعلى الحسين بن عبد الله بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، الذى قيلَ فى حقّه: «كانَ الطبُّ معدومًا فأوجدَه بقراط، وكان ميّتًا فأحياهُ جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازى، وكان ناقصًا فأكمله ابن سينا».

لكنَّ تلك القراءةَ لهذه الرسالة لم تعدْ بالمطموح إليه (المتعة والاستفادة)، وإنما عادت بالدهشة والتعجّب، بل بالحسرةِ والتندّمِ؛ لما هو موجودٌ فى الرسالة متنًا وتعليقًا. وأفصّلُ ذلك فأقول:

(*) باحث بمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

إنَّ ثمّة خطواتٍ تحقيقيةً ينبغى على المحقق اتباعُها قبل الشروع فى عملية التحقيق، وهى تتمثل فى: التحقُّق مِن اسم المؤلِّف، والتحقُّق من عنوان الكتاب المراد تحقيقه، والتحقُّق مِن نسبةِ هذا الكتاب إلى المؤلِّف المذكور، وجمع النُّسخ الخطيّة المختلفة.

والسؤال: هل التزمت المحقّقةُ - والكلمةُ على سبيل التجوّز - بتلك المقدمات التحقيقية، التى لا غنى عنها فى أى عملٍ تراثىٍّ محقّقٍ؟

والإجابةُ المتوقعةُ مِن خلال قراءة هذا العمل هى: لا، بكلِّ تأكيد. ودليل ذلك فى:

١- **لم تتثبّت المحققةُ - والكلمة على سبيل التجوّز أيضًا - مِن نسبةِ الرسالةِ إلى** مؤلِّفها؛ فنَسَبَتْهَا - وهمًا منها - إلى الشيخ الرئيس ابن سينا، ولم تراجعْ مَا كتبه السابقون عن ابن سينا ولا عن مؤلَّفاتِه المختلفة، بل إنها لم تتمرّس على أسلوب ابن سينا ولم تعرفه، ولو فعلت ذلك لتيقّنَت أنَّ نسبتَها إليه هو عينُ الخطأ.

كما أنّها لم تُراجع تلك الببليوجرافيات التى أعدّها علماؤنا فى حصر مؤلَّفات ابن سينا ومَا نُسِبَ إليه، ومنها - على سبيل المثال - مَا قامَ به الأستاذ يحيى مهدوى فى (فهرست مصنفات ابن سينا)؛ الذى تنبّهَ إلى عدمِ جوازِ نسبتها إلى ابن سينا، وإلى أنّها ربما كانت مأخوذةً ومحرفةً مِن إحدى **رسائل إخوان الصفا**[١].

وبالرجوعِ إلى (**رسائل إخوان الصفاء وخِلان الوفاء**)[٢] اتضحَ أنَّ مَا أثارَهُ علماؤنا مِن شكوكٍ حول نسبةِ الرسالة إلى ابن سينا، وأنها ربما كانت محرفةً مِن إحدى رسائل إخوان الصفا، هو عينُ الصَّواب. حيثُ تأكّد لى أنَّ الرسالة المذكورة مَا هى إلا نسخةٌ محرّفة - وإن شئتَ قلتَ: مزوّرة - مِن الرسالة السادسة عشرة مِن رسائل إخوان الصفا، والموسومة بـ (**السماء والعالم فى إصلاح النَّفْسِ وتهذيب الأخلاق**)[٣]، وأنّه لا تصحُّ نسبتُها بحالٍ إلى ابن سينا.

فما مِن فقرةٍ، بل مَا مِن جُملةٍ، إلا وقد نقلها الناسخُ الأوّلُ لتلك النسخة المحرّفة مِن النصِّ الأصلىِّ لإخوان الصفا إلى نسختِه، غير أنّه أضفى عليها بعضَ التغييرِ - كما سنرى - مِن حيثُ تقديم بعض العبارات وتأخيرها، أو حذف بعض الجمل الموجودة فى

---

(١) انظر: يحيى مهدوى: فهرست مصنّفات ابن سينا. طهران، ١٩٥٤م. ص٢٨٦ .

(٢) بعناية وتصحيح: خير الدين الزركلى. القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٢٨م.

(٣) وهى تقع فى الجزء الثانى من رسائل إخوان الصفا، من ص٢٠- ٤٤ .

النصِّ الأصليِّ؛ حتى تختفىَ معالمُ النصِّ الأصليِّ وتضيعَ نسبتُها إلى مؤلِّفها الحقيقى. ثُمّ نقلَ فى نهايتِها فصولا أخرى ليست فى رسالة إخوان الصفا.

والذى جعلنى أجزمُ بتعمّدِ التزييف والتزوير، ولم يجعلنى أتجهُ اتجاهًا آخر وأذهب إلى جهلِ قارئٍ مَا وقعت فى يدهِ الرسالة وهى غُفْلٌ مِن العنوانِ والمؤلِّف؛ فأثبتَ بجهلِه مَا خالَهُ عنوانها ومؤلّفها الصحيحين. هو أنَّ الناسخَ الأوّلَ لتلك النسخة المحرّفة قد عمدَ إلى حذفِ بعضِ الجملِ التى كانَ مِن الممكن أنْ يتعرّف القارئ مِن خلالها على مؤلِّفها الحقيقى، كحذفِ جُلِّ إحالاتِ إخوان الصفا فى هذه الرسالة إلى مؤلَّفاتِهم الأخرى.

وأُبرهن على ذلك كُلّه فأقول:

أ- نُقِلَ الفصل الأوّل مِن الرسالة الأصلية، وهو بعنوان: (فصلٌ فى بيان معرفةِ قول الحُكماء: إنَّ العالمَ إنسانٌ كبيرٌ)، واعتُبِرَ فى تلك النُّسخة المحرّفة بمثابةِ المقدّمة لها:

﴿ فصل فى بيان معرفة قول الحكماء ان العالم انسان كبير ﴾

اعلم أيها الاخ أن معنى قول الحكماء العالم انما يعنون به السماوات السبع والارضين وما بينهما من الخلائق أجمعين، وسموه أيضاً إنسانا كبيراً لانهم يرون أنه جسم واحد بجميع أفلاكه وأطباق سماواته وأركان أمهاته ومولداتها ويرون أيضاً أن له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزاء جسمها كسريان نفس الانسان الواحد في جميع أجزاء جسده، فنريد أن نذكر في هذه الرسالة صورة العالم ونصف كيفية تركيب جسمه كما وصف في كتاب التشريح تركيب جسد الانسان، ثم نصف في رسالة أخرى ماهية نفس العالم وكيفية سريان قواها في الاجسام التي في العالم من أعلى الفلك المحيط إلى منتهى مركز الارض، ثم نبين فنون حركاتها واظهار افعالها فى اجسام العالم بعضها في بعض.

(الصفحتان رقم ٢٠- ٢١ من الرسالة الأصلية)

اعلم علمك الله ونور قلبك أن العالَم إنسان كبير نعني به السموات والأرض، ومابينهما من الخلائق أجمعين، وإنما قلنا إنسان كبير لأنّا نرى أنه جسم واحد بجميع أفلاكه[٢]، وطبقات سمواته، وأركان أمهاته ومولداته، وله نفس واحدة سارية قواها فى جميع جسمه، وهو موصل لربه. وأنت راضع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾[٣]

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[١] ولنذكر إن شاء الله فى هذا الكتاب صورة العالَم، ونصف كيفية تركيب جسده مع ماتقدم من الكلام كما وُصِفَ فى كتاب «التشريح»[١] جسد الإنسان، ثم نصف فنون حركاتها، وإظهارها فى أجسام العالَم بعضها فى بعض،

(الصفحتان رقم ١٥- ١٦ من الرسالة المحرّفة)

فباستثناء الآيتين المذكورتين هنا، وهما فى غير محلّهما، نلاحظُ التشابهَ التام فى العبارات، بل إنَّ ثمّة بترًا وتحريفًا فى تلك النُّسخة المحرّفة لا يُفهم المعنى مِن خلاله، ويُكمله مَا هو موجودٌ فى الرسالة الأصلية. وهو قوله فى النسخة المحرفة: «وله نفس واحدة سارية قواها فى جميع جسمه، وهو موصل لربّه. وأنت راضع»!!، والصواب كما فى الرسالة الأصلية: «ويرون - أيضًا - أن له نَفْسًا واحدة سارية قواها فى جميع أجزاء جسمها كسريان نَفْسِ الإنسانِ الواحدِ فى جميع أجزاءِ جسمه».

أمّا قولُ إخوان الصفا: «كما وُصِفَ فى كتابِ التشريح تركيبُ جسدِ الإنسان»، فإنما كانوا يعنون به الرسالة الثالثة والعشرين مِن رسائلهم فى تركيب الجسد[١]، وليس كما ادّعت المحققةُ فى الهامش.

ب- وردَ فى الفصل الأوّل نفسِه (فصلٌ فى بيان معرفةِ قول الحُكماء: إنَّ العالَمَ إنسانٌ كبيرٌ)، الحديثُ عن الجسم باعتباره أحد الموجودات بطريق الحواس، ونُقِلَ هذا الكلام إلى النسخة المحرّفة نقلا حرفيًا، باستثناء بعض عناوين رسائل إخوان الصفا التى أحالوا عليها؛ فقد تمَّ حذفها:

(١) راجع: رسائل إخوان الصفا، ٢/٣١٨- ٣٣٣ .

الجسم هو أحد الموجودات بطريق الحواس بتوسط أعراضه كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس ، والموجودات كلها جواهر وأعراض وصور وهيولیات مركب منها كما بينا في رسالة الهيولى والصورة ، والصورة نوعان مقومة ومتممة كما بينا في رسالة العقل والمعقول ، والصورة المقومة لذات الجسم هي الطول والعرض والعمق إذا وجدت في الهيولى التي هي جوهر بسيط قابل الصورة ، والصورة المتممة للجسم المبلغة له الى أفضل حالاته كثيرة لايحصى عددها الا الله عز وجل ، ولكن نذكر منها طرفاً لتفهم معانيها : فمن الصورة المتممة للجسم الشكل ، والاشكال كثيرة كالتثليث والتربيع والتخميس والتدوير وماشاكلها ، ومن الصورة المتممة أيضاً الحركة ، والحركات ستة أنواع أحدها النقلة وهي نوعان دورية ومستقيمة ، ومن الصور المتممة أيضاً النور وهي نوعان ذاتي وعرضي ، ومن الصور المتممة للجسم الصفاء ، وأفضل الاشكال الشكل الكرى كما بينا في رسالة الهندسة ، وأتم الحركات الدورية كما بينا في رسالة الحركات ، وأبهى الأنوار الذاتية وأصفى النعوت الشفاف كما بينا في رسالة الصفات والموصوفات . فجسم العالم بأسره كري الشكل وحركات أفلاكه كلها دورية ، ونور الكواكب السماوية كلها ذاتي الا القمر ، وأجرام الكرة كلها شفافة الا الارض فقد بينا ماالعلة في أمر الارض والقمر في رسالة العلل والمعلولات

(الصفحة رقم ٢١ من الرسالة الأصلية)

فللموجودات كلها جواهر[١] ، وأعراض[٢] ، وهيولى[٤] وصورة ومركب منهما .

والصور نوعان : مقومة ، ومتممة ؛ والصور المقومة لذات الجسم فهى : الطول والعرض ، والعمق إذا وجدتا فى الهيولى الذى هو جوهر بسيط قبل الصورة المتممه للجسم المبلغة له إلى أفضل حالاته كثيرة لايحصى عددها إلا الله تعالى ؛ ولكن نذكر لك منها طرفاً لتفهم معناه ؛ فحيز الصورة المتممة للجسم الشكلى بالأشكال إذ التثليث ، والتربيع ، والتخميس ، والتدوير وماشاكلها .

ومن الصور المتممة للجسم أيضاً : الحركة والحركة سبعة أنواع : أحدها النقلة وهى نوعان : دورية ، ومستقيمة فأفضل الأشكال الشكل الكرى كما بينا فى كتاب الهندسة[٥] ، وأقدم الحركات الدورية التى هى الفلك[٦] أول موجود بجسم العالم بأسره ، وحركة ذات الأفلاك دورية ، ونور سمواته كلها ذاتى إلا القمر ، وأجرام[٧] أكره[٨] شفافة كلها إلا الأرض / وننبه عليها أعنى ظلمة الأرض والقمر .

(الصفحة رقم ١٧ من الرسالة المحرفة)

يُلاحَظُ أنَّ إخوان الصفا قد ذكروا: (رسالة الحاس والمحسوس)، و(رسالة العقل والمعقول)، و(رسالة الهندسة)، و(رسالة العلل والمعلولات)، وكلُّها رسائل لهم، قد حُذِفت عناوينُها مِن تلك النسخة المحرفة، ما عدا (رسالة الهندسة)، الذى جاءَ التعليق عليها فى هامش التحقيق كما يلى: «هو ترجمة مِن ترجمات كتاب المجسطى لبطليموس، ونُشِرَ ملخّصٌ له فى كتاب ابن سينا الشّفا»!!. وهذا خطأٌ محضٌ؛ والصوابُ أنَّ إخوان الصفا كانوا يعنون بها الرسالة الثانية مِن رسائلهم، والموسومة بـ (جومطريا فى الهندسة وبيان ماهيتها)[1].

ج ـ تحدّث إخوانُ الصفا عن عدد الأفلاكِ وترتيبها فى فصلٍ بعنوان: (فصلٌ فى أنَّ السماوات هى الأفلاك)، بينما وردَ الحديثُ نفسه فى النسخة المحرّفة تحت عنوان: (فصل)، ثُمّ نُقِلت العبارات نفسها كما وردت عند إخوان الصفا:

فصل فى ان السماوات هي الأفلاك

واعلم يا أخي ان السماوات هي الافلاك وانما سميت السماء سماء لسموها والفلك لاستدارته . واعلم بأن الافلاك تسعة سبعة منها هي السماوات السبع وأدناها وأقربها الينا فلك القمر وهي السماء الأولى ثم من ورائه فلك عطارد وهي السماء الثانية ، ومن ورائه فلك الزهرة وهي السماء الثالثة ، ثم من ورائه فلك الشمس وهي السماء الرابعة ، ومن ورائه فلك المريخ وهي السماء الخامسة ومن ورائه فلك المشتري وهي السماء السادسة ، ثم من ورائه فلك زحل وهي السماء السابعة ، وزحل النجم الثاقب ، وانما سمي الثاقب لأن نوره يثقب سمك سبع سماوات حتى يبلغ أبصارنا ، هكذا روي في الخبر عن عبد الله بن عباس ترجمان القرآن ، وأما الفلك الثامن وهو فلك الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الافلاك السبعة فهو الكرسي الذي وسع السماوات والارض ، وأما الفلك التاسع المحيط بهذه الافلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي يحمله فوقهم يومئذ ثمانية كما قال الله عز وجل

واعلم يا أخي ان كل واحد من هذه السبعة المتقدم ذكرها سماء لما تحته وأرض لما فوقه ، فلك القمر سماء الارض التي نحن عليها وأرض لفلك عطارد ، وكذلك فلك عطارد سماء لفلك القمر وأرض لفلك الزهرة ، وعلى هذا القياس حكم سائر الافلاك كل واحد منها سماء لما تحته وأرض لما فوقه الى فلك زحل الذي هو السماء السابعة .

(الصفحة رقم ٢٢ من الرسالة الأصلية)

(١) راجع: رسائل إخوان الصفا، ٢/٤٩- ٧٢ .

- فصل -

فإذا تبين أن السموات هي الأفلاك فلنتكلم على عددها فنقول: إن الأفلاك تسعة سبعة منها هي السموات السبع، فأولها وأقربها إلينا لباس فلك القمر[٥] وهو سماء الدنيا، ثم من ورائه فلك عطارد[٦] وهي السماء الثانية، ثم فلك الزهرة[٧] وهي السماء الثالثة، ثم فلك الشمس وهي السماء الرابعة، ثم من ورائه فلك المريخ[٨] وهي السماء الخامسة، ثم من ورائه فلك المشتري[١] وهي السماء السادسة، ثم من ورائه فلك زحل[٢] وهي / السماء السابعة، وزحل هو النجم الثاقب[٣] لأن نوره يثقب سُمك سبع سموات حتى يبلغ أبصارنا، وكذا رُوِي في الخبر[٤] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما[٥] ترجمان القرآن[٦].

وأما الفلك الثامن فهو فلك الكواكب الثابته الواسع المحيط[٧] بعده الأفلاك السبعة فهو الكرسي الذي وسع السموات والأرض[٥]، وأما الفلك التاسع المحيط بهذه الأفلاك الثمانية فهو العرش العظيم. قال الله - عز وجل -: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[٨].

واعلم أن كل فلك من هذه السبعة المتقدم ذكرها سماء لما تحته وأرض لما فوقه، ففلك القمر سماء للأرض، وأرض فلك الزهرة، وعلى هذا القياس حُكم سائر الأفلاك كل واحد منها سماء لما تحته، وأرض لما فوقه إلى أن ننتهي إلى فلك زحل الذي هو السماء السابعة.

(الصفحات رقم ١٨- ٢٠ من الرسالة المحرفة)

يُلاحَظُ أنَّ ناسخَ النُّسخةِ حدثَ له سبق نظرٍ، فوقع في خطأ لم تنتبه إليه المحقّقة؛ حيث جاءت عبارة الأصل: «واعلم يا أخي أنَّ كلَّ واحدة من هذه السبعة المقدم ذكرها سماءٌ لما تحته وأرضٌ لما فوقه، ففلكُ القمرِ سماءُ الأرضِ التي نحن عليها وأرضٌ لفلك عطارد، وكذلك فلك عطارد سماءٌ لفلك القمر وأرضٌ لفلك الزهرة...». بينما جاءت العبارةُ في النُّسخة المحرّفة: «ففلك القمر سماء للأرض، وأرض فلك الزهرة ...».

د- تحدّثَ إخوانُ الصفا عن تركيب الأفلاك والسموات بعضها فوق بعض، في فصلٍ بعنوان: (فصلٌ في تركيب الأفلاك وأطباق السماوات)، ووردَ العنوانُ مختصرًا في النسخةِ المحرفة، وهو: (فصل في تركيب أفلاك السموات)، ثُمَّ جاءَ النصُّ في النسخة المحرفة مختصرًا أيضًا:

فصل في تركيب الافلاك وأطباق السماوات

اعلم يا أخي ان الأرض التي نحن عليها هي كرة واحدة بجميع ماعليها من الجبال والبحار والبراري والأنهار والعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم في وسط الهواء بجميع ماعليها باذن الله عزوجل ، والهواء محيط بها من جميع جهاته كاحاطة بياض البيضة بمحها ، وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته كاحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر على مثل ذلك . وعلى هذا القياس سائر الافلاك الى أن تنتهي الى الفلك المحيط بالكل كما ذكره الله جل ثناؤه « وكل فى فلك يسبحون »

وهذا مثال تركيب الافلاك وصورة سموك السماوات ومن فوقها فلك البروج ومن فوقه الفلك المحيط :

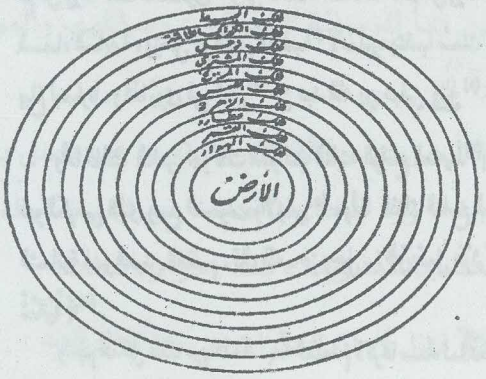

فقد بان بهذا المثال ان جملة العالم احدى عشرة كرة اثنتان في جوف فلك القمر وهما الأرض والهواء لان الأرض والماء كرة واحدة والهواء والأثير كرة واحدة ، وتسع من ورائه محيطات بعضها ببعض .

(الصفحتان رقم ٢٢ - ٢٣ من الرسالة الأصلية)

فصل فى تركيب أفلاك السموات

اعلم أن الأرض التى نحن عليها فى كرة واحدة بجميع ماعليها بإذن بارئها عزّ وجلّ ، والهواء محيط بها من جميع جهاتها كإحاطة البيضة بمحها[1] . وفلك القمر محيط بالهواء والنار من جميع جهاتها كإحاطة القشرة ببياض البيضة ، وفلك عطارد محيط بفلك القمر مثل ذلك ، وعلى هذا القياس سائر الأفلاك إلى أن ينتهى إلى منتهى الفلك المحيط بالكل كما ذكر الله - تعالى سبحانه - : ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2] .

واعلم أن جملة العالم إحدى عشرة[1] كرة[2] ، اثنتان[3] منهما فى جوف فلك القمر وهى[4] النار والهواء ، لأن الأرض والماء كرة واحدة ، والهواء والنار كرة واحدة ، وتسع من ورائه محيطة بعضها ببعض .

/ فقد تبين بهذا الشكل ، وبهذا المثال ما أردنا تبيينه وتقريبه لفهم المبتدئ إن شاء الله تعالى .

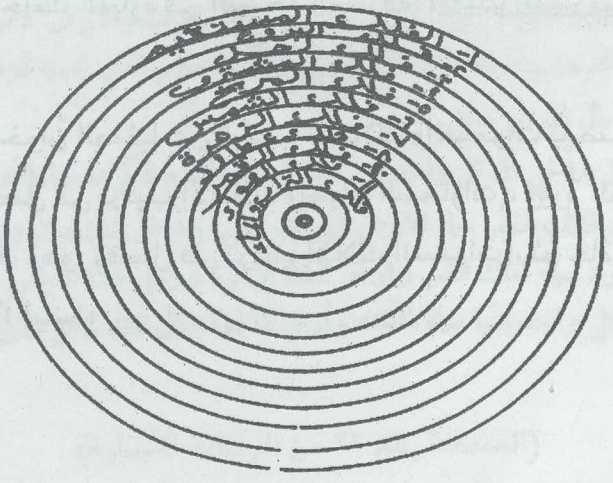

(الصفحتان رقم ٢٠- ٢١ من الرسالة المحرّفة)

يُلاحَظُ فى النسخة المحرّفة أنّه قد حدثَ حذفٌ - إمّا عَنْ عمدٍ، أو سبقِ نظرٍ من الناسخ - للكلام الواقع بين جملتى: «بجميع ما عليها» «بجميع ما عليها»، وهو كما فى الأصل: «مِن الجبالِ والبحارِ والبرارى والأنهار والعمران والخراب، وهى واقفةٌ فى مركز العالم فى وسط الهواء».

كما يُلاحَظُ أنّه قد تمَّ تقديمُ النصِّ الأخير فى النسخة المحرّفة على الشكل المذكور، الذى جاء عددُ الكرات فيه مضطربًا، وكذا بعضُ الأسماء الواردة به[1].

هـ - تحدّثَ إخوانُ الصَّفا فى (فصل فى أنّه ليس للعالم فراغٌ) عن عدم وجود فراغاتٍ بين هذه الأكر والأفلاك، وشبّهوها بطبقات البصل ورقائقه الملتصقة ببعضها. ونُقِل هذا الفصلُ كلُّه فى تلك النسخة المحرّفة نقلا حرفيًا.

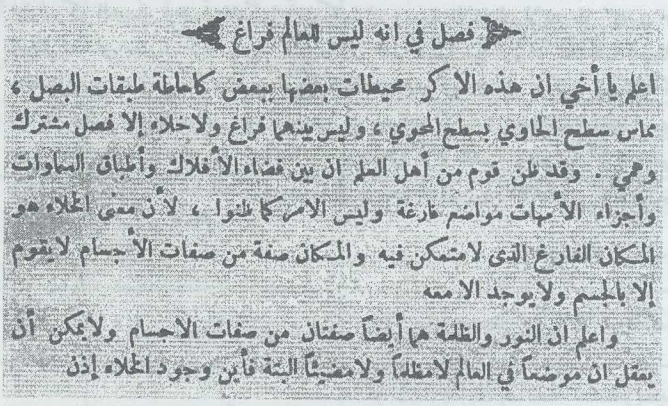

فصل في انه ليس للعالم فراغ

اعلم يا أخي ان هذه الاكر محيطات بعضها ببعض كاحاطة طبقات البصل ، مماس سطح الحاوي بسطح المحوي ، وليس بينهما فراغ ولا خلاء إلا فصل مشترك وهمي . وقد ظن قوم من أهل العلم ان بين فضاء الأفلاك وأطباق السماوات وأجزاء الأمهات مواضع فارغة وليس الامر كما ظنوا ، لأن معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذى لامتمكن فيه والمكان صفة من صفات الأجسام لايقوم إلا بالجسم ولا يوجد الا معه

واعلم ان النور والظلمة هما أيضاً صفتان من صفات الاجسام ولايمكن أن يعقل ان موضعاً في العالم لامظلماً ولامضيئاً البتة فأين وجود الخلاء إذن

(الصفحتان رقم ٢٣- ٢٤ من الرسالة الأصلية)

فصل في أنه ليس هذا العالم فراغ

اعلم أن هذه الأكر[1] المحيطة بعضها ببعض كإحاطة طبقات خلف البصلة ما بين سطح الحاوى[2] وسطح المحتوى عليه ليس بينهما فراغ ولا خلاء إلا فصل مشترك لهما وهمى ، وقد ظن كثير من أهل العلم أن بين الأفلاك[3] ، وأطباق السموات ، وأجزاء الأمهات مواضع فارغة وليس الأمر كما ظنوا لأن معنى الخلاء الموضع الذى لا تمكن فيه ، والمكان صفة من صفة الأجسام لا يقوم إلا بالجسم ، ولا يقوم الجسم إلا به ، ولا يوجد إلا معه ، وكذلك أيضاً النور والظلمة هما صفتان من صفة الأجسام ، ولا يتصور العقل فى العالم موضعاً لا مظلماً ولا مضيئاً البتة[4] فأين وجود الخلاء .

(الصفحة رقم ٢٢ من الرسالة المحرفة)

(١) حيثُ جاءَ تسلسلُ الكراتِ إحدى عشرة كرة، بالإضافة إلى كرة الأرض (فلك التراب والماء)، بينما هى عشر كرات فقط، وكذلك لمّا قال إخوان الصّفا: «ومِن فوقها فلك البروج، ومِن فوقه الفلك المحيط» جاء اسم الفلك المحيط فى الشكل المذكور بالنسخة المحرفة (الفلك المستقيم)!!

يُلاحَظُ أنَّ المحققة وقعت فى التحريف ـ وما أكثر وقوعها فيه ـ فكتبت: «ما بين سطح الحاوى»، والصواب كما فى الأصل: «مماس سطح الحاوى». وكذلك التحريف فى: «صنفان من صفة الأجسام»، والصواب كما فى الأصل: «صفتان من صفات الأجسام».

و- تحدّث إخوان الصفا فى (فصل فى أنَّ موضع الشمس وسط العالم) عن زعم أنَّ مركز الشَّمس وسط العالم، وشبهوها كالملك فى الأرض، والكواكب حولها كجنود الملك وأعوانه. ونُقِلَ الفصلُ بتمامِه فى النسخة المحرفة دون تغيير يُذكر:

فصل في ان موضع الشمس وسط العالم

اعلم ان الشمس لما كانت في الفلك كالملك في الارض والكواكب لها كالجنود والاعوان والرعية للملك والافلاك كالاقاليم والبروج كالبلدان والدرجات والدقائق كالقرى صار مركزها بواجب الحكمة الالهية وسط العالم كما ان دار الملك وسط المدينة ومدينته وسط البلدان من مملكته ، وذلك ان مركز الشمس وسط فلكها وفلكها في وسط الافلاك لانه لما كانت جملة العالم احدى عشرة كرة كما بينا قبل وكان خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض ، وهي كرة المريخ وكرة المشترى وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط وخمس دونها وهي في جوف كرتها محيطات بعضها ببعض أولها فلك الزهرة ودونها كرة عطارد ودونها كرة القمر ودونها كرة الهواء ودونها كرة الارض ، فصار موضعها في وسط العالم بهذا الاعتبار كما ان موضع الارض في مركز العالم

(الصفحة رقم ٢٥ من الرسالة الأصلية)

فصل فى أن موضع الشمس فى وسط العالم

اعلم أن الشمس لما كانت فى الفلك كالمَلِك فى الأرض ، والكواكب لها كالجنود والأعيان والرعية للمَلِك ، والأفلاك كالأقاليم ، والبروج[٥] كالبلدان ، والدرجات كالمدن ، والدقائق كالقرى صار مركزها بواجب الحكمة الإلهية فى وسط العالم . كما أن دار المَلِك فى وسط المدينة ، ومدينته فى وسط البلدان من مملكته ، وذلك أن مركز الشمس/ فى وسط فلكها وفلكها فى وسط الأفلاك . . .

كانت جملة العالم احدى عشرة كرة ـ كما بينا من قبل ـ وكانت خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض ، ودونها كرة الزهرة ، ودونها عطارد ، ودونها كرة القمر ، ودونها كرة النار والهواء ، ودونها كرة الماء والأرض فصار موضعها فى وسط العالم بهذا الاعتبار ؛ وكما أن موضع الأرض هى مركز العالم فافهم .

(الصفحة رقم ٢٢ من الرسالة المحرفة)

يُلاحَظُ أنَّ ثمّة كلمتين لم تتبينهما المحققة، فوضعت نقاطًا مكانهما دون أنْ تُصرّحَ فى الهامشِ بتعثر قراءتهما، بل إنها وضعت الكلام بعد هذا النقص فى فقرةٍ جديدةٍ، وكأنّه غير متّصل بما قبلَه. جاء فى النسخة المحرفة: «وذلك أن مركز الشمس فى وسط فلكها، وفلكها فى وسط الأفلاك ... كانت جملة العالم إحدى عشرة كرة»، وهذا

النقصُ هو ـ كما جاء فى الأصل ـ «وفلكها فى وسط الأفلاك **لأنّه لما** كانت جملة العالم إحدى عشرة كرة».

وبعدُ؛ فإنَّ هذه النماذج التى تَمَّ إيرادُها تُعَدُّ كافيةً للتدليلِ على مَا ذهبنا إليه، وإلا فمِن الممكن مضاهاةُ جلِّ فقراتِ الرسالة المحرّفة وسطورها بما هو موجود فى الأصل عند إخوان الصفا؛ لنعلمَ علمَ اليقينِ أنَّ هذا النصَّ المنشور ما هو إلا نسخة محرّفة من رسالة إخوان الصفا.

وفيما يلى جدولٌ يضمُّ بعضَ عناوين الفصول فى الرسالة المنحولة، مع ذكر أرقام صفحاتها مقارنةً بأرقام صفحاتها فى رسالة إخوان الصفا:

اسم الفصل فى الرسالة المنحولة	رقم الصفحة فى الرسالة المنحولة	رقم الصفحة عند إخوان الصفا
مقدمة الرسالة	١٥ – ١٧	٢٠/٢ – ٢١
فصل فى بيان هيئة السموات بشاهد شرعى وبرهان هندسى	١٨ – ٢٠	٢٢/٢
فصل فى تركيب أفلاك السموات	٢٠ – ٢١	٢٢/٢ – ٢٣
فصل فى أنه ليس هذا العالم فراغ (كذا)	٢٢	٢٤/٢
فصل فى أن موضع الشمس فى وسط العالم	٢٢	٢٥/٢
فصل فى معرفة هيئة البروج	٢٣ – ٢٤	٢٥/٢ – ٢٦
فصل فى مقادير أجرام هذه الكواكب من جرم الأرض	٢٤	٢٨/٢
فصل فى مقادير الكواكب الثابتة	٢٥	٢٨/٢
فصل فى اختلاف دوران الأفلاك حول الأرض	٢٥ – ٢٦	٢٩/٢
فصل فى أنّ دورانها كدوران الطائفين حول البيت	٢٦ – ٢٧	٣٣/٢ – ٣٤
فصل فى مثال أدوارها	٢٨ – ٢٩	٣٤/٢ – ٣٦
فصل فى علة الكسوفين كسوف الشمس والقمر	٣٠ – ٣٢	٣٨/٢ – ٣٩

وإذا غضضنا الطرفَ عَنْ هذا الخطأ الفادح، وتلك النسبة الخطأ إلى ابن سينا ـ فإنَّ ثمّةَ أخطاءً كثيرةً كفيلةٌ بأنْ تُودى بهذا العمل مِن أوّلِه إلى آخرِه، وهى:

٢ - لم تستوفِ المُحَقّقةُ النُّسخَ الخطية المختلفة للنصِّ؛ الأمرُ الذى مِن شأنِه إقامة النصِّ المُحقَّق فى أقرب صورةٍ أرادها المؤلِّف له، بعيدًا عن الوقوعِ فى التصحيفات والتحريفات، أو الزيادة فى النصِّ، وهو مَا وقعَ فيه هذا العمل.

فقد جاءَ الكلامُ عن النُّسَخِ الخطيّة للرسالة كما يلى:

«توجد ثلاث نسخ لهذه الرسالة، بيانها كالآتى:

(١) نسخة كُتبت عام ٨٥٠ هـ تقديرا، وهى عبارة عن المقدمة فقط وغير كاملة، وهى مصورة عن مخطوطة لندن (إضافية ١٥٩٩ ـ المنسوخة عام ١٢٢١هـ).

(٢) نسخة كُتبت عام ١١٦٣هـ بخطٍّ مغربى وبها نظام التعقيبة، ورسوم وأشكال، وتقع فى (١٥ ورقة) ضمن مجموعة (الكتاب الثانى) من ورقة ٢٥:٤٠، وهى مصورة عن نسخة دار الكتب وناقصة الآخر خمس ورقات، برقم (١٠هيئة، ميكروفيلم ١٣١٠٦ دار الكتب المصرية) وبرقم ٤٣٦(معهد المخطوطات العربية).

(٣) نسخة وحيدة كاملة نُسخت بخط نسخ عام ١٣٣٧هـ وتقع فى نحو (١٩ورقة) برقم (٤٣هيئة/ميكروفيلم١٤٣٦٠).

وقد راجعنا ميكروفيلم النسخ السابقة المصورة فى دار الكتب المصرية واستقر الرأى على تحقيق النسخة الثالثة لاكتمالها وتطابق محتواها، وترتيبه مع النسخ الأخرى غير المكتملة...»[١].

وقبل الخوض فى الحديثِ عن النُّسخِ الخطيّة الأخرى للرسالة التى أغفلَتْهَا المحقِّقة، ينبغى أولا أنْ أُعلّقَ بعضَ التعليقِ على كلامِها السابق فى إيراد النُّسخ الخطية:

- اعتمدت المحققة فى وصف النسخة الأولى على ما ذكره ديفيد كنج فى (فهرس المخطوطات العلمية المحفوظة بدار الكتب المصرية)، ج٢، ص١٢، لكنّها لم تُشر إلى ذلك. وقد وقعت فى خطأٍ جسيم لم تتنبّه إليه؛ فقد خلطت بين بيانات عُنوانَيْن مُختلفَيْن منسوبَيْن إلى ابن سينا. أمَّا العنوانُ الأول فهو (رسالة فى الهيئة = المختصر فى علم الهيئة)، وجاءت بياناته كالتالى: ١٠، ٢ده (ق٢٥و - ٤٠و، ١١٦٣هـ) ٤٩ده (١١ لوحة مصورة عن مخطوطة لندن إضافية ٩٥٩٩، ١٢٢١هـ) ٤٣ده (٣٨ص، ١٣٣٧هـ[١]).

(١) رسالة فى الهيئة، ص١١ .

وأمَّا العنوان الثانى فهو (رسالة فى الهيئة)، وهى عبارة عن صفحة واحدة تشتملُ على مقدمة رسالة فى الهيئة، مغايرة تمامًا لرسالتنا التى نحنُ بصددِها، مِن حيث النّصِّ والتقسيم. وجاءت بياناته عند ديفيد كنج كالتالى: ٨٦٣، ١٥دج (٢٩٧ظ ـ ٢٩٨و، ٨٥٠هـ تقديرًا، المقدمة فقط). ومعنى هذا أنَّ هذه الرسالة تحت رقم ٨٦٣ مجاميع (وقد رمز إلى فن المجاميع بالحرفين: دج)، وأنَّ ترتيبها هو الخامس عشر مِن هذا المجموع، وكتبت عام ٨٥٠ هـ تقديرًا.

فجاءت المُحقّقة وخلطت بين بيانات العنوان الأول ـ وهو رسالتنا التى نحن بصددها ـ وبيانات العنوان الثانى ـ وهو عنوانٌ مختلفٌ تمامًا عمّا نحن بصدده ـ فجعلت تاريخ نسخ مصورة المتحف البريطانى هو تاريخ نسخ العنوان الآخر (٨٥٠هـ تقديرًا)، بينما تاريخ نسخها الصحيح هو ١٢٢١هـ، فضلا عن وصفِها بأنّها ناقصةٌ تشتمل على المقدمة فقط رغم أنّها كاملة!!

ـ جاء فى وصف النُّسخة الثانية أنّها بقلم مغربى قد كُتبت عام ١١٦٣هـ، ثُمَّ ذَكَرت أنَّها ناقصة الآخر خمس ورقات. وإذا كانت النسخة ناقصةَ الآخر ـ كما ذكرت المحققة ـ فكيف لها إذن بالاهتداء إلى تاريخ النَّسْخ والنُّسخة خُلْوٌ ـ على حَدِّ زعمها ـ مِن حَرْدِ المتنِ الذى يشتملُ غالبًا على بيانات النَّسْخ المختلفة؟!!

وبالرجوعِ إلى النُّسخةِ الخطيّةِ ثم النَّظرِ إلى فهرس أستاذنا الأستاذ عصام الشَّنّطى الخاص بالمخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية (الفلك ـ التنجيم ـ الميقات)[٢] ـ والذى أشارت المحققة فى الهامش إلى أنّها رجعت إليه ـ تبيّنَ أنَّ النُّسخةَ كاملةٌ غيرُ ناقصةٍ، وقد جاء فى نهايتها (حرد المتن) أنَّ كاتبَها هو على بن الترجمان، وقد كتبَها سنة ١١٦٣هـ، وبها رسومٌ وأشكالٌ.

ـ صدّرت المحقّقةُ الكلامَ فى وصف النُّسخة الثالثة بأنّها النُّسخة الوحيدة الكاملة، ثُمّ لم تلبث أنْ ذكرت أنَّه «استقرّ الرأى على تحقيقِ النُّسخة الثالثة لاكتمالِها وتطابق محتواها»!!

ولا عجبَ فى ذلك، بل العجب أنَّها لم تنظرْ فى فهارس المكتبات الأخرى، ولم تُكلِّف أو تُعَنِّ نفسَها فى النَّظَر إلى مَا ذكرَه بروكلمان فى كتابِه (تاريخ الأدب العربى)،

(١) أخطأ ديفيد كنج فذكر أنَّ تاريخ نسخ النسخة رقم (٤٣هيئة) هو ١٢٣٧هـ، والصواب ما ذكرتُه ١٣٣٧هـ.

(٢) انظر: عصام محمد الشَّنّطى: فهرس المخطوطات المصورة، الجزء الثالث (العلوم)، القسم الثانى (الفلك ـ التنجيم ـ الميقات). القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩م. ص٢٦١ .

وفؤاد سزكين فى الجزء السادس (الخاص بعلم الفلك) مِن كتابه (تاريخ التراث العربى)، ولا إلى تلك الببليوجرافيات التى أعدّها علماؤنا فى حصر مؤلَّفات ابن سينا ومَا نُسِبَ إليه فى مكتبات العالم. ولو فعلت ذلك لتبيّن لها أنَّ ثمّةَ نسخًا أخرى كاملةً يُمكن الاعتماد عليها فى التحقيق بدلًا مِن الاعتماد على نُسخة متأخرةٍ كتبها أحد نُسّاخ دار الكتب آنذاك - وهو محمود حمدى - سنة ١٣٣٧هـ. وهذه النُّسخ هى:

أ- نُسخة دار الكتب: تحت رقم (١٠ هيئة)، وهى ضمن مجموع (٢٥و - ٤٠و)، بقلم مغربى. وقد كُتبت سنة ١١٦٣هـ. وأغلبُ الظنِّ أنَّ نسخةَ محمود حمدى قد نُقلت عن هذه النُّسخة، والعجيبُ أنَّ المحققةَ لم تعتمدها، بل أشارت إلى أنّها ناقصة!

ب - نسخة المكتبة الوطنية بالجزائر: تحت رقم (١٤٥٢)، وقد تمَّ نسخُها سنة ١١٨٣[١].

ج - نسخة المتحف البريطانى: تحت رقم (٩٧٧/ ٢٧)، وقد تمَّ نسخُها سنة ١٢٢١هـ[٢]. والعجيبُ كذلك أنَّ المحققةَ لم تعتمدها، بل أشارت إلى أنّها ناقصة أيضًا!

د- نسخة خسرو باستانبول: تحت رقم (٢٥١)[٣].

٣- الإخفاق الشديد فى التقديم للنصِّ والتمهيد له:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التقديمَ للنصِّ المُحقّق والإضاءة له مِن الأهمية بمكان، بحيثُ لا يقلُّ أهميةً عَن عمليّةِ التحقيقِ نفسِها. ولا بُدَّ أنْ تشتملَ مقدّمةُ التحقيقِ على عناصر أساسية فى أىِّ عملٍ، قد تزيد ولا تنقص، ولا خلاف بين جمهرة المُحقّقين حولها. وهذه العناصر هى:

- مؤلِّفُ النصِّ المُحقَّقِ (حياتُه - نشأتُه - ثقافته - مؤلَّفاته الأخرى المطبوعة والمخطوطة - وفاته - أهم المصادر التى ترجمت له).

- النصُّ المُحقّق (موضوعُه ومَا أُلِّف فيه مِن قبل - أهميته ولماذا ينشره المحقّق - أثرُه فى المتأخرين ومدى معرفتِهم به - مكانته بين الكتب السابقة واللاحقة ومَا يُقدّمه مِن جديد).

---

(١) ذكرها بروكلمان فى (تاريخ الأدب العربى)، ج٥/٤٤؛ وسزكين فى (تاريخ التراث العربى)، ج٦/٢٨٠ (بالألمانية).

(٢) ذكرها بروكلمان - أيضًا - فى (تاريخ الأدب العربى)، ج٥/٤٤، وتوجد مصوّرةٌ منها بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩ هيئة).

(٣) أشار إليها الأب جورج شحاتة قنواتى فى ببليوجرافيته (مؤلَّفات ابن سينا)، ص٢٢٩ .

- النُّسخ الخطية المختلفة للنصِّ المحقَّق، وفيها يتمُّ وصفُ المخطوطات التى اعتمدَ عليها المُحقّقُ؛ مِن حيث: أماكنها، وأرقامها، ووصفها المادى، واسم الناسخ، وتاريخ النَّسْخ، وما عليها مِن سماعاتٍ أو إجازات أو تملُّكات أو توقيفات، والعنوان المُثبت عليها، وتحديد للنسخة التى اعتمدها أصلا، ورموز سائر النُّسخ التى قابل عليها.

- المنهجُ الذى اتّبعه المُحقِّقُ فى إخراجِ النصِّ وضبطِه والتعليقِ عليه[١].

هذه هى العناصر الأساسية التى ينبغى توافرها فى مقدّمة التحقيق. لكنَّ العملَ الذى نحنُ بصددِه جاء خلوًا من كثيرٍ منها، كيف لا ولم تستغرق المقدمةُ كلُّها سوى ثلاث صفحات وربع[٢]!! وأفصّلُ ذلك فأقول:

أ - جاءَ التعريفُ بابن سينا - مؤلِّف الرسالة على حدِّ زعمِ المحقِّقة - تعريفًا موجزًا للغاية؛ حيث استغرق سبعةَ أسطر، ونصُّه:

«هو الحسين بن عبد الله، أبو على، الشيخ الرئيس ابن سينا، ولد عام ٣٧١هـ = ٩٨٠م/ وتوفى عام ٤٢٨هـ = ١٠٣٦م فى (أفشنه) بالقرب من بخارى، واستقرّ مع والده فيها؛ حيث تلقى العلم، وحفظ القرآن الكريم، ودرس الأدب على معلم حتى بلغ العاشرة من عمره، كما درس الفقه، والمنطق، والهندسة على أبى عبد الله الناتلى، ثم درس الطب، ووحدة الطبيعيات والإلهيات على كتابات الفارابى، وله مؤلفات كذلك فى علم الموسيقا، وأتقن العربية والفارسية. وكان يتمتع بذكاء وولع؛ فانكب على دراسة كتابات إقليدس فى الرياضيات، وبطليموس فى الفلك»[٣].

وعند البحث فى الهامش عن مصادر هذه الترجمة العامة المختصرة، والمخلّة فى الوقت نفسه بهذا المقام، فإننا لا نجدُ لها أثرًا، بل وتفاجئنا المحققة بالترجمة نفسها - أو قريبٍ منها - موضوعة فى الهامش الأول من الصفحة الأولى للنصِّ المحقق، وكأنّها لم تقنع بذكرها فى المقدمة فوضعتها مرةً ثانيةً فى بداية النصّ المحقّق!!

وهذه الترجمةُ المذكورةُ رغم وجازتها ومَا بها مِن خَلل إلا أنَّ بها خطأً جليًا وردَ فى قولِ المحققة: «كما درس الفقه، والمنطق، والهندسة على أبى عبد الله الناتلى».

---

(١) انظر ذلك فى: أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط١ . ١٩٩٧م. ج٢، ص٥٥٥ .

(٢) رسالة فى الهيئة، ص٩ - ١٢ .

(٣) رسالة فى الهيئة، ص٩- ١٠ .

وأبو عبدالله الناتُلى[١] هو أحدُ فلاسفة الباطنية المبرّزين؛ ولا علاقةَ له بالفقه مِن قريبٍ أو بعيدٍ حتى يأخذ ابن سينا على يديه الفقه، وإنما أخذ عليه دروسًا مِن كتاب (المدخل إلى علم المنطق)، المعروف باسم (إيساغوجى). أمّا الفقه فقد أخذَه - على حدٍّ قولِه - قبل قدوم الناتلى على الفقيه إسماعيل الزاهد[٢].

نقطةٌ أخيرةٌ فيما يخصُّ التعريف بالمؤلِّف، وهى: أينَ المُحقّقة والترجمة الوافية التى أعدّها ابنُ سينا لنفسِه، وقد نقلها عنه - وزاد عليها - تلميذُه أبو عُبيد الجوزجانى، ثُم تناقلتها عنه كتبُ التراجم المختلفة؟!![٣].

ب - لم تحدّثنا المحقّقةُ عن أهميّة النصِّ الذى تُحقّقه، ولا عَن صلتِه بكتبِ السابقين، أو تأثيره فى كُتب اللاحقين. فقط اكتفت، تحت عنوان (إضاءة على مخطوطة رسالة فى الهيئة)، بنقل مُقدّمة الرسالة، ثم استعراض فصول الرسالة وأبوابها، مُصدّرة ذلك كلّه بجملة: «هذه الرسالة من مقتنيات دار الكتب المصرية ولم تحقق من قبل»[٤]!!

ج - لم تُبيّن لنا المحققة فى تلك المُقدمةِ المنهجَ الذى اتَّبَعَتْهُ فى إخراج النصِّ، بل تركت الأمرَ كلَّه لملاحظةِ القارئ وفطنته إلى ذلك. كذلك لم تُرفق فى ختام مقدمتها نماذج مصوّرة مِن النُّسخ الخطية التى اعتمدتها فى إقامة النصِّ، وهو أمرٌ درجَ عليه جمهرةُ المُحقّقين؛ رغبةً منهم فى مشاركةِ القارئ لهم، والاهتداء إلى مَا بذله المُحقّق مِن جهدٍ[٥].

وإذا مَا تجاوزَ القارئُ مقدّمةَ التحقيق ومَا ورد بها مِن زلات، ثُمَّ انتقلَ إلى النصِّ المُحقَّقِ فسوف يفاجأ - أيضًا - بجملةٍ وافرةٍ مِن الأخطاء؛ سواءٌ كان ذلك فى متن

---

(١) كذا وردَ ضبط الكلمة (بضمِّ التاء) فى: ابن ناصر الدين الدمشقى: توضيح المشتَبه، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسى. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م. ج١/٣١٣ .

(٢) يقول ابن سينا فى ذلك: «ثُمَ جاء إلى بخارى أبو عبد الله الناتلى، وكان يُدعى المتفلسف، وأنزلَه أبى دارنا رجاء تعلّمى منه. وقبل قدومِه كنتُ أشتغلُ بالفقه والتردّد فيه إلى إسماعيل الزاهد... ثُم ابتدأتُ بكتاب إيساغوجى على الناتلى». انظر: ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا. بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٨٦م. ص٤٣٧ .

(٣) انظر: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص٤٣٧ - ٤٥٩؛ والذهبى: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامى، ط١ . ٢٠٠٣م. ج ٩/٤٣٨ - ٤٤٦ .

(٤) رسالة فى الهيئة، ص١٠ .

(٥) يقول الأستاذ عبد السلام هارون فى هذا الصّدَدِ: «وهو [أى: المحقق] إن قرنَ ذلك بتقديم بعض نماذج مصوّرة لها كان ذلك أجدر به وأوْلى. وقد جرت العادة أن يصوّر فى ذلك وجه الكتاب وبعض صفحاته...». عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها. القاهرة: مكتبة الخانجى، ط ٧. ١٩٩٨م. ص٨٤ .

الرسالة أو فى هامش التحقيق. وأفصّل ذلك فأقول:

١- **لم تفهم المُحققةُ النصَّ المُحَقّقَ ولم تستوعبه كما ينبغى له؛ الأمر الذى أدى** بها إلى عدم الانتباه إلى أخطاء النسخة؛ ومن ثَمّ الوقوع فيها. مثال ذلك[1]:

- وقعَ ناسخُ النسخة المعتمدة فى سقط نتيجةَ سَبْقِ نظرٍ فى: ص٢٠، حيث جاء: «واعلم أنَّ كل فلك مِن هذه السبعة المتقدّم ذكرها [يقصد: القمر، ثم عطارد، ثم الزهرة، ثم الشمس، ثم المريخ، ثم المشترى، ثم زحل] سماء لما تحته وأرض لما فوقه، فـفلك القمر سماء للأرض، وأرض فلك الزهرة. وعلى هذا القياس حكم سائر الأفلاك...». والصواب - كما عند إخوان الصفا (٢٢/٢): «ففلك القمر سماء الأرض التى نحن عليها وأرض لفلك عطارد، وكذلك فلك عطارد سماء لفلك القمر وأرض لفلك الزهرة...».

- كذلك وقع ناسخ النسخة فى سقطٍ أدى إلى التباس المعنى وعدم وضوحه، ولم تتنبّه إليه المحقّقة، فوقعت فى الخطأ ذاته. جاء فى ص٣٢: «وتدور أبدًا فى مقابلة الشمس إن كانت فوق الأرض تحتها [!!!]، وإن كانت هى تحت الأرض فظل الأرض فوق الأرض...». والصواب - كما عند إخوان الصفا (٣٩/٢): «وتدور أبدًا فى مقابلة الشمس: إذا كانت من فوق الأرض فظلُّ الأرض تحتها، وإن كانت تحت الأرض فظلُّ الأرض فوقها...».

٢- **أقحمت المُحقّقةُ على النصِّ مَا ليس فيه، وأضافت إليه مَا لم يُرده مؤلِّفُه** الحقيقى. مثال ذلك:

- أوردت المحققةُ فى المتن، ص١٥- ١٦، الآيتين الكريمتين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [سورة الحج، من الآية ١٨]، و﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النور، الآية ٤١]. ثُمّ علّقت على ذلك فى الهامش، قائلةً: «ورد نص هاتين الآيتين فى متن المخطوط خطأ آية واحدة هكذا «ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والطير صافات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه» وهما جزءان من آيتين منفصلتين، وقد تم كتابة نص الآيتين صحيحا فى المتن».

---

(١) آثر الكاتب هنا الاكتفاء بضرب مثال أو مثالين على الأخطاء خشيةَ الإطالة؛ وإلا فالأمثلة على ذلك كثيرةٌ.

والأمرُ كلُّه يرجع إلى خطأِ الناسخ فى كتابة كلمة (يسبح) فى آية النور؛ حيث كتبها (يسجد). وكانَ الأجدرُ بالمحققة أن تصحّحَ الكلمة فقط دون الإشارة إلى ذلك، ودون البحث عن آيةٍ قرآنية تشبه آية النور التى ذُكرت، ثُمّ إقحامها معها فى المتن.

أمرٌ آخر، وهو أنَّ المؤلّف قد استشهد ببعضِ آية النور، ولا غروَ فى ذلك، غير أنّ المحققة أرادت أنْ تثبتَ مَا لم يرده المؤلِّف، فأكملت الآيةَ بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

٣- لم تقف المحققةُ موقفَ الناقدِ حيالَ تلك المعارف العلمية القديمة، والتى أثبت العلمُ الحديثُ خطأها، بل تركتها دونَ أنْ تُعلّقَ عليها أو تُثبتَ مَا أثبتَه العلمُ الحديثُ. مثال ذلك:

- لم تشر إلى مَا وصلَ إليه العلم الحديث حول ترتيب الأفلاك، وهو الذى يخالف مَا ورد فى هذه الرسالة (ص١٨- ١٩). فالعلم الحديث يرى أنَّ المجموعة الشمسية تتكوّنُ مِن شمس واحدة وكواكب، وهى تختلف بحسب قربها وبعدها عن الشمس، وترتيبُها من حيث قربها مِن الشمس كالتالى: عطارد، ثُم الزهرة، ثُم الأرض، ثُم المريخ، ثُم المشترى، ثُم زحل، ثُم أورانوس، ثم نبتون. وكلّ هذا فى السماء فقط.

- لم تُعلّق على مَا ورد فى الرسالة (ص٢٢) مِن أنه ليس للعالم فراغٌ، ولم تشر إلى مَا أثبتَه العلم الحديث مِن أنَّ كلَّ كوكب يحيطُ به غلافٌ جوّىٌّ، وبين كل كوكبٍ وآخر فراغٌ تنعدمُ فيه الجاذبية.

٤- أخفقت المحققةُ فى التعريف ببعض المصطلحات والكلمات؛ الأمر الذى أدى إلى التباس المعنى لدى القارئ. مثال ذلك:

- ورد فى ص١٩، هامش (٤): «الخبر: الحديث الشريف»[(١)]. وهذا وهمٌ مَا بعدَه وهمٌ؛ فقد اتفقَ علماء المصطلح (مصطلح الحديث) على تقسيم الخبر بالنسبةِ إلى مَن أُسندَ إليه إلى أربعة أقسام، هى: الحديث القدسى (وهو مَا نُقِل إلينا عن النبى ﷺ مع إسنادِه إياه إلى ربه عز وجل)، والمرفوع (وهو مَا أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة)، والموقوف (وهو مَا أضيف إلى الصحابى مِن قولٍ أو فعل أو تقرير). والمقطوع (وهو ما أضيف إلى التابعى أو مَن دُونَه من قولٍ أو فعلٍ)[(٢)].

---

(١) وذلك تعقيبًا على قولِ المؤلِّف: «وكذا روى فى الخبر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (كذا) ترجمان القرآن».

(٢) انظر: محمود الطحان: تيسير مصطلح الحديث. الإسكندرية: مركز الهدى للدراسات، ١٤٠٥هـ. ص ٩٦ - ١٠٢.

إذن فالجزمُ هنا بأنَّ الخبرَ هو حديث الرسول ﷺ كلامٌ لا معنى له؛ لا سيما إذا كانت الكلمة (الخبر) جاءت هنا فى حقِّ أثرٍ منسوبٍ إلى حبر الأمة ابن عبّاس رضى الله عنهما.

- ورد فى ص٢٧، هامش (٥)، وهامش (٦): «الركن الشامى [أى: الركن الشامى للكعبة]: منسوب إلى اليسار. الركن اليمانى [أى: الركن اليمانى للكعبة]: المنسوب إلى اليمين». ولا أجدُ تعليقًا أُعلّق به فى هذا المقام سوى التعجّب!!

٥- **لم تُلمَّ المحققةُ الإلمامَ الكافى بمؤلَّفاتِ ابن سينا، وما طُبِعَ منها وما لا يزالُ مخطوطًا؛ فأخذت تُعنّى نفسَها وتعنّى معها القارئ فى الاعتمادِ على نُسخٍ خطيّةٍ لمؤلَّفات طُبعت غيرَ مرةٍ.** مثال ذلك:

- نقلت المحقّقةُ فى ص١٦، هامش (٥) كلامًا مِن (رسالة فى ذكر أسباب الرعد والبرق)، ثُمّ قالت: «وما زالت هذه الرسالة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٩٠ حكمة وفلسفة) ميكروفيلم (٧٤٢٣)». وكأنّ المحققةَ لا تعلم أنَّ الرسالة طُبعت غير مرّة، ومنها نشرة بتصحيح زين العابدين الموسوس، وعبد الله أحمد العلوى، عن دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، ١٩٣٤م، فى ٦ صفحات.

- نقلت المحقّقةُ فى ص٣٠، هامش (١) كلامًا مِن كتاب (الإشارات والتنبيهات)، ثُمّ إنها أشارت إلى نسخة خطية من الكتاب بدار الكتب تحت رقم (٨فلسفة وحكمة)، ميكروفيلم (٤٤٨٧٥)، ص٢٧أ. ولم تعلم المحققةُ أنَّ كتاب (الإشارات والتنبيهات) طُبِعَ غيرَ مرةٍ، وقد طُبعَ محققًا بأقسامِه الثلاثة (الطبيعة والمنطق والإلهيات)، بتحقيق سليمان دنيا. وصدرت الطبعةُ الأولى بين عامى ١٩٤٧- ١٩٤٩م عن مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ثُم أعيد طَبْعُه طبعةً ثانية عن دار المعارف بين عامى ١٩٥٩- ١٩٦٨م.

٦- **حشو هوامش التحقيقِ بما لا فائدةَ منه للقارئ**، وربما الوقوع فى تناقض واضح: وهذا أكثرُ مِن أنْ يُحصى فى هذا المقام، لكن سأكتفى بإيراد نموذجين اثنين مِن تلك الأخطاء والتناقضات، ثم أُورد بعد ذلك جدولًا يضمُّ هوامشَ لا معنى لها غير الحشو والتطويل.

- المثال الأول: جاء فى ص٢١، هامش (١) فى معرض الحديث عن تركيب أفلاك السماوات، وأنّ جملة العالم إحدى عشرة كرة: «ورد فى المتن: إحدى عشرة كرة، وفى الرسم

التوضيحى المصاحب أخطأ العدد ذكره اثنتا عشرة كرة، وهى فى الحقيقة إحدى عشرة كرة مطابقة لما سبقه لقوله. عز وجل. فى سورة يوسف: الآية (٤) ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴾ ...».

وإنى لأتساءل: هل يصحُّ التدليل على أنَّ العالمَ مكوَّنٌ من إحدى عشرة كرة بهذا النصِّ القرآنى الذى لا يشتمل على أية حقيقةٍ علمية؟ وأيهما أَوْلى فى هذا الصّدَد: إثبات صحّة ذلك أو خطئه بما وصل إليه العلمُ الحديث، أم تطويع نصٍّ قرآنىٍّ كريم لا علاقةَ له بهذا الأمر؟

- المثال الثانى: جاء فى ص٢٥، هامش (١): عند التعليق على جملة: «وفى رؤية العين جزء من عشرين من قطر جرم الشمس» قولها: «وردت فى الأصل: رأى العين ولعلّ الصواب ما أثبتناه». والصوابُ هو مَا وردَ بالأصل[١] ولم تثبته المحققة فى المتن؛ ظنًّا منها أنّه خطأ. وكأنَّ التعبير القرآنى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ﴾ [سورة آل عمران، من الآية ١٣] لم يمرّ على مسامعها مِن قبل.

وفيما يلى جدولٌ يشتملُ على نماذج مِن تلك التعليقات التى لا معنى لها غير أنّها إثقالٌ لهامش التحقيق وتطويلٌ فى النصِّ لا فائدة منه:

الموضع	الهامش
ص ٢٢، هامش (٤)	ألبتة: قطعًا لا رجعة فيه [المعجم الوجيز]
ص ٢٦، هامش (٢)	يسير: بسيط[٢]
ص ٢٧، هامش (٣)	هوينا : المشي البطىء الممتد
ص ٣٤، هامش (١)	ألبتة : سبق تخريجه ص ٢٢
ص ٣٤، هامش (٣)	بيّن : ظاهر وواضح
ص ٣٦، هامش (٣)	بيّنًا : واضحًا
ص ٣٧، هامش (٢)	واعتبر : اتعظ.
ص ٣٩، هامش (٤)	بتّة: هى ألبتة وسبق تخريجها ص ٢٢

(١) يؤكّد ذلك مَا ورد بلفظه عند إخوان الصفا، ج٢/٢٨ .

(٢) هذا خطأ لغوىٌّ يخطئ فيه كثيرٌ من العوام. فكلمة (بسيط) تعنى التوسُّع فى كل شىء، ومعنى (بسطَ الأمرَ) أى: تناوله بتوسُّع مِن كافة جوانبه، و(كتاب البسيط فى كذا) إنما يعنون به المبسوط، أى: المتوسّع فى مجاله.

الموضع	الهامش
ص ٤٢، هامش (٤)	وردت فى الأصل: رؤسهم خطأ، والصواب ما أثبتناه[١]
ص ٤٤، هامش (٢) و(٣) و(٤) و(٥)	سبق تخريجه ص ١٦ ـ سبق تخريجه ص ١٦ ـ سبق تخريجه ص ١٦ ـ سبق تخريجه ص ١٦
ص ٤٤، هامش (٨)	علا الرؤوس: ارتفع فوقها، ووردت كلمة الرؤوس هكذا فى الأصل، والصواب ما أثبتناه
ص ٤٤، هامش (٩)	لم يوضح المؤلف إذا كانت آية من آيات القرآن الكريم أو شرح فى المتن. وهى نص آية فى سورة النور: الآية (٤٣)[٢]
ص ٤٥، هامش (٢)	الضدان : المخالفان اللذان لا يجتمعان
ص ٤٥، هامش (٣)	انعسار: اشتد. انظر مادة عسر فى معجم ألفاظ القرآن الكريم: الجزء الرابع: ص ٢٢١[٣]
ص ٤٥، هامش (١٠)	تهوى: من أعلى إلى أسفل بسرعة
ص ٤٦، هامش (١)	بشيعة: قبيحة
ص ٤٧، هامش (٤)	الغيث والكلأ: المطر والحشيش الأخضر، أو المطر والنبات كله رطبه ويابسه
ص ٤٧، هامش (٥)	إهراق الدماء: صبها

٧- امتلأت الرسالةُ بعددٍ كبيرٍ مِن التصحيفات والتحريفات، التى ترجع غالبًا إلى:

أ- عدمِ فهمِ المعنى المقصود.

ب - كثرة التصحيفات فى النسخة الخطية المعتمدة.

ج- عدمِ الإلمامِ بقواعد العربية (نحوًا وصرفًا).

د- أخطاء مطبعية لم يتم استدراكها من قِبَلِ المحققةِ.

ومِن أمثلة تلك التصحيفات والتحريفات الموجودة بمتن الرسالة فقط:

(١) وقد أثبتت المحققة الكلمة فى المتن بواوين، هكذا: (رؤوسهم) ظنًا منها أنها الأصوب. لكن الصوابَ ـ على حسب مَا قرّره مجمع اللغة العربية بالقاهرة مؤخرًا ـ أنْ تكتبَ بواوٍ واحدةٍ، هكذا: (رءوسهم)؛ وذلك كراهية توالى الأمثال.

(٢) والسؤال هو: كيف كان سيوضح المؤلّف ـ على حد زعمها ـ أنّها نصٌّ آية مِن القرآن؟

(٣) فبالإضافة إلى تعريف مَا لا يلزم تعريفه، نجدُ هنا أنَّها قد عرّفت المصدر بالفعل!!

١- ص١٦، س٨: «وماشاكل ذلك بكلام وجيزه قريب...». الصواب: ومَا شاكل... بكلام وجيز.

٢- ص١٨، س٢: «وإنما سُميت السمآء سمآء لسموها أى غلوها». الصواب: السماء سماء... علوها.

٣- ص١٨، س٨: «ككتاب المجسطى وغير...». الصواب: وغيره.

٤- ص٢١،س٢: «اثنتان منهما فى جوف فلك القمر وهى النار والهواء...». الصواب: وهما.

٥- ص٢٢، س١: «فصل فى أنه ليس هذا العالم فراغ». الصواب: ليس هذا العالم فراغًا، أو: ليس لهذا العالم فراغٌ.

٦- ص٢٢، س٢: «كإحاطة طبقات خلف البصلة مابين سطح الحاوى». الصواب: مماس سطح الحاوى.

٧- ص٢٢، س٧: «وكذلك أيضًا النور والظلمة هما صنفان من صفة الأجسام». الصواب: وكذلك أيضًا النور والظلمة، هما صفتان مِن صفات الأجسام.

٨- ص٢٢، س١٥: «كانت جملة العالم احدى عشرة كرة». الصواب: إحدى (وهذا خطأ متكرّر).

٩- ص٢٥، س١٣: «ولكن تنقضى حركته عن سرعة محرّكه بشىء يسير». الصواب: تنقص.

١٠ - ص٢٦، س١٢: «وأن فلك القمر أيضًا حركته من أجل بعده من الحركة الأولى». الصواب: أبطأها حركةً.

١١- ص٢٧، س٧: «فبهذا السبب إذا طاف الماشى شوطاً واحداً . لقد طاف الساعى أشواطاً فهو كالطائفين، وإن اختلفت أشواطهم من أجل...». الصواب: فقد طاف الساعى أشواطًا. فهؤلاء الطائفون وإن اختلفت أشواطهم.

١٢- ص٣٠، س١١: «فإذا اتفق أن تكون الشمس غند احدى العقدتين». الصواب: عند إحدى.

١٣- ص٣٢، س٢: «وأما ظل جُرِم القمر...». الصواب: جِرْمِ (وهذا خطأ متكرّر، أعنى الضبط الخطأ).

١٤- ص٣٣، س١٥: «فلا يفهمه **الآمن فهو** فى هذه الصناعة». الصواب: إلا مَن هو فى هذه الصناعة.

١٥- ص٣٤، س٦ بعد الشكل: «وأنه **إذ اوجب** استهلاله على البعد...». الصواب: إذا وجبَ استهلاله.

١٦- ص٣٧، س٣: «**لانرى** أن النساء إنما يحضن عند...». الصواب: ألا ترى أنّ النساء.

١٧- ص٤٥، س١٠: «وانضمت الأجزاء بعضها إلى بعض وصار **قَطرَاً**». الصواب: وصار قَطْرًا.

وإذا مَا فرغَ القارئُ مِن قراءةِ متنِ الرسالة فسوف يجدُ قائمةً بالمصادر والمراجع المعتمد عليها فى التحقيق، يلاحظُ فيها:

- عدم استكمال البيانات الببليوجرافية الخاصة ببعض المصادر والمراجع. مثال ذلك: عدم استكمال بيانات المرجع رقم (١٨)؛ حيث وردَ كما يلى: «لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية (الجزءان الأول، الثانى، الثالث).»!! فلم تُعرّف المحققة ببيان الطبعة؛ سواءٌ كان ذلك فى التعريف باسم المؤلّف كاملا (وهو أندريه لالاند)، أو مترجمها (خليل أحمد خليل)، أو بيان الطبعة التى اعتمدت عليها وتاريخ نشرها، وقد طُبِع فى بيروت، وعمّان، والقاهرة.

وكذلك لم تُستكمل البيانات الببليوجرافية الخاصة بالمراجع أرقام: (٨)، و(١٦)، و(٢١).

- إغفال وضع بعض المراجع المعتمد عليها. مثال ذلك: عدم وضع البيانات الببليوجرافية الخاصة بكتاب (معجم المؤلفين) لعمر رضا كحالة، رغم اعتمادها عليه هو وكتاب (الأعلام) لخير الدين الزركلى، الذى أثبتته فى هذه القائمة.

- خطأ مطبعى فى كلمة (شعيب الأرنؤوط)، حيث كُتبت: (شهيب).

وينتهى بنا المطاف عند (الفهرس التفصيلى) للرسالة، وهو يضمُّ عددًا ضخمًا من الكشافات التحليلية، بلغت اثنى عشر كشّافًا، هى:

- أولا: الأعلام.
- ثانيًا: الآيات القرآنية.
- ثالثًا: الحديث الشريف.

- رابعًا: المصطلحات العلمية.
- خامسًا: مواقع الأفلاك والكواكب والاتجاهات.
- سادسًا: الحركات والأفعال.
- سابعًا: الأشكال.
- ثامنًا: المقاييس.
- تاسعًا: الأدوات.
- عاشرًا: النبات.
- حادى عشر: البلدان والأماكن.
- ثانى عشر: المؤلَّفات.

ونظرةٌ عامةٌ إلى هذه الكشّافات التحليلية قبل التوغّل فيما تحويه مِن معلوماتٍ يُلاحظُ أنَّ ثمّة تزيدًا واضحًا؛ سواء كان ذلك من حيث العددِ والكمِّ، أو مِن حيث التصنيف والكيف. ويتضحُ هذا إذا مَا عُلِمَ أنَّ عدد صفحات النصِّ المُكَشَّفِ هو (٣٤) صفحة فقط (١٥- ٤٩ص)، ويزدادُ جلاءً ووضوحًا إذا مَا عُلِمَ أنَّ عددَ صفحات هذه الكشافات قريبٌ مِن صفحات المتنِ المُكَشَّف، حيث بلغت (٢٥) صفحة (٥٣- ٧٧ص). وكانَ الأَوْلَى بالمحققة تجنبًا للإطالةَ والوقوع فى التكرارِ - كما سنرى - أنْ تصنعَ كشّافًا شاملا يضمُّ تلك المعلومات، مع تجنّب بعض الكشّافات غير المفيدةِ فى هذه الصدد.

أمرٌ ثانٍ نلاحظه فى تلك الكشّافات، وهو عدم مراعاة الترتيب المنطقى فيما بينها؛ حيث بدأت بكشّاف الأعلام، ثُم كشاف الآيات القرآنية، ثم كشاف الحديث الشريف. وكان الأجدرُ بها والأولى أنْ تقدّم كتاب الله وسُنّة نبيّه أولا؛ لما لهما من تقديس وتوقير، لا سيما مع معرفتنا بأنَّ الرسالةَ المحققة رسالةٌ علمية قد لا يفيدُ فيها كشّاف الأعلام أو يترتب عليه أهمية لدى القارئ، ومِن ثَمّ ينبغى تقديمه.

أمرٌ أخير نلاحظُه مِن خلالِ استطلاعِ هذه الكشّافات، وهو أنَّ المحقّقة قامت بتكشيف مقدّمة المُراجع ومقدمة التحقيق والمتن معًا[1]. وهذا أمرٌ يمكنُ استساغتُه إذا ما تمّت الإشارةُ إلى ذلك، لكنها لم تُشر إلى ذلك لا فى مقدمة التحقيق، ولا فى مقدمة هذه الكشّافات.

---

(١) يظهر ذلك فى موضع واحد فقط من الكشافات، حيث ذكرت فى الكشاف الرابع (المصطلحات العلمية)، ص٦١: (علم الهيئة)، وذكرت مِن مواضع الصفحات: ٥، ٩، ١٢، ٤٩ . ومعلومٌ أنّ النصَّ المحقق يبدأ بالصفحة رقم (١٥).

وإذا انتقلنا بأنظارنا إلى هذه الكشافات، فسنجد أولا أنَّ كشاف الأعلام - وقد أطلقت عليه المحققةُ (فهرس الأعلام) - قد ضمَّ ستة أعلام، ابتدأته المحققة بـ«الحسين بن عبد الله، ابن سينا، على بن سينا... ١٥، ٣٦»، ثُمّ ذكرته ثانية تحت رقم (٣) باسم: «على بن سينا، الشيخ الرئيس: انظر: الحسين بن عبد الله... ١٥، ٣٦».

والحقُّ الذى لا مراءَ فيه أنَّ (ابن سينا) لم يُذكر فى متن الرسالة مطلقًا، أمَّا الموضع الأول الذى ذكرته المحققة - وهو (ص١٥) - فهو العنوان الذى أثبته الناسخُ للنُّسخةِ، وأمَّا الموضعُ الثانى - وهو (ص٣٦) - فلفظُه: «قال المؤلِّف»، ولم يقل: «قال ابن سينا».

كذلك ورد فى كشاف الأعلام اسم رسولنا الكريم (محمد) ﷺ وأشارت إلى أحد موضعيه، وهو (ص٤٩)، ثُم تلته بعَلَمٍ آخر هو (محمود حمدى)، وأشارت إلى الصفحة نفسها.

و(محمود حمدى) هو أحد نُسَّاخ دار الكتب - آنذاك - وهو ناسخ النسخة التى اعتمدتها المحققة، وقد ورد اسمُه - وكذلك اسم نبيّنا ﷺ فى حرد متن النسخة، وهو ضمن مَا يسميه علماء الكوديكولوجيا بـ (خوارج النصّ). والسؤال هو: هل يجوزُ تكشيفُ مَا وردَ بخوارج النصِّ مِن بيانات؟!

● أمَّا كشّافُ الآيات القرآنية فقد التُزمَ فيه ترتيب الآيات على حسب ترتيب سور القرآن الكريم فى المصحف، لكنّ المحققة أخفقت فى ترتيب الآيتين: رقم (٦)، (٧)، فقدّمت آية الحاقة على آية الطلاقِ رغم أنّ سورة الطلاق يأتى ترتيبها فى المصحف قبل سورة الحاقة.

● وأمَّا كشاف الحديث الشريف فلم يضم غير عنصرٍ واحدٍ، جاء نصُّه كما يلى:

«عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - ترجمان القرآن: صحيح البخارى، باب النجم الثاقب، سورة الطلاق. ص١٩ ».

ونحن إذا سلّمنا بجوازِ وضع الأثر المنسوب إلى الصحابى فى كشاف الحديث الشريف - رغم انفراد هذا الكشّاف به - فأين إذن نصُّ الأثرِ المذكور وهو لم يذكر أساسًا فى المتنِ المُكشّف، حيث جاءت العبارة: «وكذا رُوى فى الخبر عن عبد الله بن عبّاس ترجمان القرآن»؟!

● أمَّا سائرُ الكشّافات فقد تكرّرت فيها أخطاء بعينِها، تمثّلت فى:

١- **الخطأ فى تصنيفِ الكلمات**، وعدم وضعِها فى الكشّاف اللائق بها؛ حيث وُضعت كلمات مثل: (الأرض ـ الأمطار ـ الأنهار ـ البحار ـ ثلوج ـ جسم/الجسم ـ سائر الكواكب ـ أصوات ـ العالم مضىء ـ الفلك الأعظم المحيط بجميع الأفلاك...) فى كشاف المصطلحات العلمية. وكلمات مثل: (ركن الحجر الأسود ـ الركن الشامى ـ الركن اليمانى ـ المسجد ـ وسط البحر...) فى كشاف مواقع الأفلاك. وكلمات مثل: (أدوار كثيرة ـ الأغصان ـ التثليث ـ رؤية الشمس ـ رؤية العين...) فى كشاف الحركات والأفعال. وكلمات مثل: (شهر، شهور، أشهر ـ شهر إبريل ـ شهر مايو ـ شهر يونيه ـ شهر يوليو ـ شهر أغسطس ـ شهر سبتمبر ـ نهار...) فى كشاف المقاييس. وكلمات مثل: (بئر ـ بيضة ـ درجات ـ كرة...) فى كشاف الأدوات والمواد. وكلمات مثل: (أنواع الثمار ـ الثمار ـ الزرع ـ الزروع ـ النبات ـ ورق الأشجار والنبات...) فى كشاف النبات. وكلمات مثل: (أقاليم ـ بلد ـ البلدان ـ خلاء ـ دور المدينة ـ المسجد ـ مملكة...) فى كشاف البلدان والأماكن... إلى غير ذلك مِن أخطاء.

٢- **تكرار كثيرٍ من الألفاظ فى أكثر مِن كشّاف دون مبرّر. مثال ذلك:**

- ذُكرت كلمة (البروج) فى كشاف المصطلحات العلمية (ص٥٨)، وكذا فى كشاف المقاييس(٧١).

- ذُكرت كلمة (كرة) فى كشاف المصطلحات العلمية (ص٦٣)، وكذا فى كشاف الأشكال (ص٧٠)، وكذا فى كشاف الأدوات والمواد (ص٧٤).

- ذُكرت كلمة (المسجد) فى كشاف مواقع الأفلاك والكواكب (ص٦٥)، وكذا فى كشاف البلدان والأماكن (ص٧٦).

- ذُكر التركيب (وسط السماء) فى كشاف مواقع الأفلاك والكواكب (ص٦٦)، وكذا فى كشاف البلدان والأماكن (ص٧٦).

٣- **تكشيف ألفاظ لم ترد بنصّها فى المتنِ المُكَشَّف**، مع الإتيان أحيانًا باللفظ الصحيح الوارد فى المتن مع تكشيفِه فى الكشّاف نفسِه. مثال ذلك:

- وردَت فى كشاف الحركات والأفعال، (ص٦٨) الألفاظ التالية: (حركة ذاتية ـ حركة عرضية ـ حركة النملة الذاتية ـ حركة النملة العرضية) وكلّها تحيل إلى (ص٢٥) مِن المتن. لكن بالرجوع إلى الصفحة المذكورة لم نجد جملة (حركة النملة الذاتية)، ولا

جملة (حركة النملة العرضية).

وردَت فى كشاف المصطلحات العلمية، (ص٦٣) الألفاظ التالية: (الكواكب السبعة ـ الكواكب السبعة السيارة ـ الكواكب السيارة ـ الكواكب السيارات)، وكلُّها تحيل إلى الموضعين: (ص٢٤، وص٢٩). وبالرجوع إلى الموضعين المذكورين لم نجد غير جملة (الكواكب السبعة السيارة) فى (ص٢٩) فقط. أمّا بقية الألفاظ المذكورة فمن باب تركيب الصفات ليس إلا.

وختامًا، يطيبُ لى أنْ أذكرَ مقولةً خالدةً قالها أحدُ شوامخِ التحقيقِ فى معرضِ النُّصح والتعليم:

«إنَّ التحقيقَ نتاجٌ خُلقىٌّ، لا يَقْوَى عليه إلا مَنْ وُهِبَ خَلَّتَيْنِ شَدِيدتَيْنِ: الأمانةَ، والصَّبْرَ، وهُما مَا هُما!!».

[عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ٤٨]